نقد النقد الأدبي:
قراءة في مكونات الخطاب النقدي عند جورج سالم[1]

عمر عيلان . جامعة لغرور عباس، خنشلة

❖❖❖❖❖

ملخص

يتناول نقد النقد في مجال بحثه، بصورة أساسية حطاب النقد الأدبي ، وهو بذلك يتعامل من منطلق مختلف عن النقد الأدبي أو الدراسة الأدبية التي يكون موضوعهما الإبداع. إن موضوع نقد النقد هو النقد الأدبي وبالتالي فهو خطاب يستعير مرجعيات النقد ويسعى عبر تمظهراته الخطابية إلى قراءة المتن النقدى ومكوناته ضمن مسارات هي التنظير، التأريخ ، التعليم، والتحقيق. ويتناول هذا المقال البحث في المكون المعرفي للنقد الأدبي عند جورج سالم من خلال كتابيه المغامرة الروائية، ودراسات في الأدب.

Résumé

La critique de la critique étudie essentiellement le discours de la critique littéraire, et diffère de l'étude littéraire et de la critique littéraire par leur objet d'étude qui est la création littéraire. La critique de la critique emprunte les références de la critique et essaye a travers des manifestations discursives de lire le corpus de la critique et ces composants selon des parcours dont la théorie, l'historicité, le cognitivisme, ou l'épreuve de validité. Cet article cherche a élucider l'aspect épistémologique dans la critique de George Salem a travers ses œuvres : *L'aventure romanesque*, et *Etudes littéraires*.

❖❖❖❖❖

يشكل الخطاب النقدي في جانبه العملي مساراً إجرائياً ينطلق من التطورات والمنظورات الفلسفية والروائية ليحدد مستويات يتم من خلالها رصد حركة **الفعل الإبداعي، عبر جملة من الممارسات** والمقاربات التي تسعى لإقامة تصنيف وترتيب منهجي لكل السلوكيات الفنية والجمالية. **بهدف ضبط** مجالات وأشكال التعبير الفني، وتوجهاته **المتعددة.**

ويستند الخطاب النقدي إلى مجموعة من الإيواليات الضرورية لتوضيح خصوصيته المعرفية، وإذا سلمنا جدلاً بأن النقد هو كلام عن كلام وإبداع ينطلق من الإبداع، فإنه من ناحية أخرى قراءة تقوم على شروط أهمها الوساطة بين النص والمتلقي، فالناقد قارئ لقارئ، تتحكم في فعله القرائي عناصر معرفية ومنهجية، وجهاز مصطلحي واضح ومتجانس بحكم أن المصطلح مكون أساسي يعكس التوجهات المنهجية، ويحدد ملامح الخطاب النقدي، حيث إن المصطلح "يعطي النقد والتنظير بعداً واضحاً حين يسمي مادة الآداب اللغوية باللغة نفسها" ويساهم في تقريب النقد والتنظير من حقول المعرفة بدءاً من استعمال مصطلحاتها"،[2] وهو الشيء الذي يجعل المفاهيم النقدية أكثر وضوحاً **وانسجاماً.**

إن نقد النقد خطاب يميل إلى العلمية، و يتصف بأنه يبحث وفق شروط و قواعد تتسم بالموضوعية يقارب بها النقد الأدبي، وهذه المكونات المنهجية يتقاسمها مع كل من النقد الأدبي والتنظير **النقدي إلا أن المجال الذي** تتباين فيه **الإجراءات** يعود بالأساس إلى المدونة التي يشتغل عليها كل طرف والآفاق والاستراتيجيات المرسومة. وقد يحدث الالتباس بين النقد الأدبي والتنظير والنظرية النقدية ونقد النقد، ومرد ذلك يعود إلى المرجعيات المتشابهة بل والمتماثلة أحيانا. فقد تتشابه المرجعيات بين النقد والتنظير النقدي لكون كل منهما يستند لرؤية فلسفية ومرجعية مفهومية واحدة، كما يتقاطع نقد النقد مع التنظير النقدي لكون المدونة التي يشتغل عليها كل واحد هي النقد،لكن تميز وخصوصية نقد النقد هو اشتغاله على مدونتين متباينتين هما النقد الأدبي بداية والخطاب الأدبي في الدرجة الثانية. ويرى الناقد نبيل سليمان بأن"نقد النقد يستنهض إلى التبصر ما يكمن وراء الظاهرة الأدبية ووراء العملية النقدية في نفس **الو**قت من متشابكات يتعاون كل من الأدب والنقد على إخفائها فهو بذلك يستحثك أن تهتك الحجب والأستار فتنفذ بعين التبصر وروح الاعتبار إلى حيث يغيب بصر الآخرين."[3] فنقد النقد من هذا المنظور يسهم في إعادة صياغة وبلورة المفاهيم والقيم والخصائص الإبداعية بما يتيح رؤية **و**مقاربة جديدة، عبر تفكيك وإعادة بناء المقاربات النقدية.دون الوقوع في اللبس الذي قد يتسرب للخصوصية التي ينطلق منها هذا المتن **المثلث**.[4]

واعتباراً من أن النقد الأدبي ونقده من المجالات الحيوية التي تسعى إلى فهم وتفسير وتأويل النصوص الإبداعية، ولكون النقد الأدبي خطابا مثل بقية الخطابات قابل لأن يقارب من مستويات عدة، فإن مقالي يتناول جوانب من الإنتاج النقدي للكاتب والمترجم والناقد جورج سالم، الذي يعد من المثقفين العرب الذين سعوا للقيام بجهد إبداعي ومعرفي أصيل من حيث سعة أفقه وتعدد مطامحه، وإذا كانت نصوص جورج سالم السردية قد شكلت عالماً متجانساً ومتكاملاً من الفضاءات الإنسانية التي يهيمن عليها قلق الوجود، فإنها انتصرت للحياة ومواجهة الموت وكسر حاجز الصمت يقول سالم: "الغاية من الكتابة عندي من حيث العلة الأولى وبشكل عام هي مجابهة الشعور بالموت على الصعيد الفردي والصعيد الجماعي والتغلب عليه وتعليق لهذا الشعور الذي يحاصرني أبداً، لهذا كانت الكتابة عندي ضرباً من التطهير أجد فيه المنجى والخلاص، وأكاد أقول الفرح، الفرح الحقيقي الوحيد.[5]

إن هنا الموقف المركزي في فكر جورج سالم دفعه الآن يكتب من أجل الحياة منتصراً للبسطاء من الناس، عارضاً صوراً لتناقضات الوجود البشري، وهيمنة سلطة المال والإقطاع، وصراع المثقفين من أجل القيم السامية وهو ما تعكسه بجلاء رائعته الأدبية رواية "في المنفى"، أو قصصه التي تصور عبث الصراع عند الظلم والقهر كقصة "أمام الجدار"، أو في الأعماق حديقة من مجموعة حوار الصم، ولعل هذا النزعة لدى جورج سالم، أعطت مذاقاً آخر للكتابة عنده من خلال توظيف ظاهرة الصمت. هذه القضية التي تتخلل كل أعماله الإبداعية، والتي تمثل تعبيراً عن الظلم والفساد

والإقطاعية التي تسود الحياة، وعدم مقدرة الناس على الرد أو التحرك.

ولذا فإن الكاتب يتواصل مع الناس لتبني طموحاتهم التي يفرضها عليه موقفه كمثقف عضوي في مجتمع، وإذا انتقلنا للحديث عن النتاج النقدي لجورج سالم فإننا نجده عمل نفس الروح المتفتحة على الثقافات الأخرى، والساعية لمد جسور التواصل الثقافية بين الماضي والحاضر العربي، وبين الثقافة العربية والعالمية، من خلال دراساته: على هامش الأدب العربي، ودراساته في الأدب، والمغامرة الروائية.

وتمثل روح البحث عن واقع الأدب العربي، وموقعه في الفضاء الثقافي الإنساني جوهر الميزات التي طبعت كتاباته النقدية، كتابات يشغلها هم المثقف القومي الحامل لرسالة التواصل بين عناصر الثقافة العربية في مختلف الأقطار. هذه الثقافة التي تتشابه مكوناتها، وتتكامل أجواؤها، ويتفاعل ماضيها مع حاضرها. وقد تميزت كتابات جورج سالم النقدية بحضور بارز لجملة مرجعيات أهمها المرجع الجمالي، والسوسيولوجي، والفلسفي خدمة للجانب المعرفي الذي تجلى لديه عبر جملة من الخطابات النقدية هي الخطاب التعليمي الذي يهدف من خلاله التعريف بالكتابات الإبداعية، وبالمبدعين، والتحقيق الذي يتقاطع فيه مستويان هما المكون التاريخي الذي يتبع مسار تطور الأجناس الأدبية، أو الظاهرة الفنية، والمكون التنظيري الذي يؤسس للتوجهات النقدية. وكل هذا يتم عبر دراسة الموضوعات والنصوص النقدية والإبداعية. ويتم كل هذا الجهد في سياق منهج ذي مرجعية سوسيولوجية، تستند إلى التوجهات التي تتطلبها النظرية الواقعية في الكتابة والإبداع.

1. المستوى المعرفي:

يتأسس المستوى المعرفي في الإنتاج النقدي لجورج سالم ضمن جملة من الخطابات النقدية هي خطاب التعليم، وخطاب التحقيق وخطاب التنظير، وحضور هذه الخطابات في المدونة النقدية، يتصف بخاصية هي عدم التمايز الدقيق بين مختلف الخطابات، إلا أننا نحكم بالسمة الغالبة والمميزة لكل خطاب استناداً إلى خصائصه العامة، وإلى الاختيارات المنهجية التي يتبناها الناقد صراحة في مقدمة كتبه: ففي دراسته المعنونة المغامرة الروائية يميل الناقد بصورة واضحة لخطاب التحقيق في مقاربته للنصوص الروائية حيث يقول: "أنا اعتبر الرواية عالماً قائماً بذاته له حياته الخاصة، وحركته الداخلية وأشخاصه المستقلون"، وقد حاولت أن أدرس هذه الحياة الداخلية التي تتمتع بها كل رواية دون أن أفصلها بطبيعة الحال عن الظروف الموضوعية التي تحيط بها... حاولت أن أقيم علاقة مع الأثر وهذه العلاقة تسعى إلى دراسة بنيته، وإعادة تكوينه، فتقرؤه وتستعيده في عمل نقدي،[6] إلا أن هذا التوجه لا يمنع من بروز بعض مظاهر الخطاب التعليمي في ثنايا الدراسة. وإذا انتقلنا إلى كتابة دراسات في الأدب، فإن الطابع العام هو خطاب التعليم، والذي يقصد الناقد من ورائه تقديم جملة من القضايا الأدبية والنقدية ومناقشتها بصفتها أسئلة نقدية يمكن أن تكون مادة معرفية للقراءة، كما أن الناقد في سياق خطابه التعليمي في كتابة دراسات في الأدب، يشير صراحة إلى نزعته التعليمية حينما يتعلق الأمر بالكتاب والروائيين الغربيين يقول: وقد خصصت فرونسوا مورياك بدراسة واسعة تعرف القارئ

العربي بعالم هذا الروائي الكبير، وتدرس جوانبه وموضوعاته،[7] وهذا التصريح من الناقد ينم عن النزعة الوسيطية أو الوساطة النقدية بين النص والمتلقي العربي، وهي خاصية في أحد جوانبها تخضع للمسار التلقيني والتعليم.

1-1. خطاب التحقيق:

يقوم خطاب التحقيق في جوهره على المقاربة النقدية المرتكزة على البحث المعمق في التاريخ الأدبي، بالإضافة إلى الاستعانة بالجوانب الحاسمة للنظرية النقدية وجهازها المفاهيمي، اعتبارا من أن مواجهة الإبداع يجب أن تتم بأدوات وإجراءات ليست من جوهره حتى نتمكن من مساءلته ومعرفته لأنه كما يرى تودوروف في كتابه نقد النقد، لا يمكن البحث عن شيء بواسطة هذا الشيء ذاته فعلى البحث عن معنى نص ما أن يتم بدون رجوع إلى حقيقته،[8] وانطلاقاً من هذا الأساس فإن خطاب التحقيق عند جورج سالم يتضح من خلال دراسته للرواية العربية وفق مرتكزين أساسيين هما نظرية الأجناس الأدبية، ونظرية الاتجاهات الأدبية، حيث عمد الناقد إلى الاستعانة بالمفاهيم المكونة لنظرية الأجناس الأدبية لتحديد خصائص الأعمال الروائية وعناصرها وصيغ تفاعلها وحضورها في النصوص السردية، كما استعان بتصنيفات المذاهب الأدبية وطرائق تعبيرها عن الخصائص الذاتية والموضوعية داخل النصوص الإبداعية، ليصل من خلال ذلك إلى صياغة تصنيف يراه مناسباً للفصل في خصوصية الأعمال الروائية المدروسة، وبذلك نجده يميز بين ثلاثة أشكال هي: الكتابة السردية الرومنطقية والرواية الواقعية، وأخيراً يطلق عليه تسمية دروب جديدة أو الكتابة الجديدة.

ويرى بأن الشكل الأول الذي يضم رواية زينب لهيكل، والأجنحة المتكسرة لجبران، ودعاء الكروان لطه حسين، وإبراهيم الكاتب للمازني، وقدر يلهو لشكيب الجابري، يعد البداية الأولى للكتابة الروائية العربية وهو متأثر بمرجعيات غربية فرنسية أو أمريكية واقتراباً أولياً من الرواية كما عرفتها الآداب الغربية،[9] كما أن الروايات المعنية ذات ملامح رومنطقية طبعت الرواية العربية في أول نشأتها خاصة ما تعلق منها بوصف الطبيعية والريف أما الشخصيات فهي مسطحة ومنمطة ، وتفتقد للعمق، وللبناء النسقي الذي يتطور بتطور مراحل السرد.

ويتميز خطاب التحقيق في هذا القسم من الدراسة من خلال الأحكام التي يصدرها الناقد بشأن النصوص المدرسية، فهو يرى بأن هيكل قدم وصفاً رومنطقياً لا نظن أنه يطابق صورة الريف المصري في مطلع القرن العشرين وهو وصف يخفي بؤس الفلاحين، كما أن الرواية تقدم شخصيات كثيرة لكنها شخصيات مسطحة تعوزها الحياة،[10] أما بالنسبة لرواية الأجنحة المتكسرة لجبران فإن نقد سالم طال الأحداث والشخصيات، فالأحداث مضغوطة إلى حد كبير، والأشخاص لم يحاول الكاتب ولم يستطع أن يطلعنا على عالمهم الباطني وما يجول فيه من صراع وتمزق، وإنما اكتفى بالإشارة إلى ذلك دون تحليله وسبره وتصويره، كما أن الرواية مثلت العصر الذي ظهرت فيه فقد كانت البلاد العربية والأدب العربي يمرون بمرحلة رومنطيقية انعكست انعكاساً حاداً في رومنطقية جبران.. وتجلت في تعبيره عن الوحدة والكآبة وعن التشاؤم الذي لا يعرف له سبب،[11] ويلاحظ سالم نفس الشيء في رواية دعاء الكروان لطه حسين فرومنسيتها تظهر من خلال الثأر الغريب

لبطلة الرواية من المهندس الذي لطخ عرض عائلتها، أو من خلال النزعة الخطابية التي ميزت أسلوب طه حسين خاصة ما يقدمه في الحوار الذي يدور بين آمنة والكروان حوار يعكس الروح الرومنسية التي تخلع على الطبيعية مشاعرها وأجواؤها،[12] أما في رواية المازني إبراهيم الكاتب فإن المأخذ الذي جعل الناقد يصنفها ضمن الكتابة الرومنسية، فهو ابتعادها عن الواقع حيث أن أبطالها جميعاً يبدون للقارئ وكأنهم لا ينتمون إلى مجتمع بل يعيشون في الفراغ كما تتجلى رومنسية الرواية في إلحاحها على الفرد الهروب إلى الطبيعة (الريف)، التغني بالوحدة والصحراء، وتعذيب الذات، والتلذذ بهذا العذاب.[13]

وبالنسبة لرواية قدر يلهو للروائي السوري شكيب الجابري فإن جورج سالم يعلل تصنيفها ضمن الرواية الرومنسية لهيمنة السيرة الذاتية، أو الحضور القوي لذات البطل، وقلة الشخصيات الأخرى والبطل مرهف الحس، شديد التأثر، قوي الانفعال، حاد العاطفة، ويقر في النهاية بالقول بأن الرواية إحدى طلائع الرواية في سوريا، بجدتها وعنف العاطفة فيها، وبطابعها الرومنسي الذي شكل نقطة الضعف والقوة فيها في آن واحد.

إن خطاب التحقيق في مواجهة النصوص السابقة استند إلى عناصر تمثلت في التركيز على إبراز عناصر المذهب الرومنسي، والإهتمام ببعض عناصر البنية السردية، حيث لم يتم التطرق إلى مكونات أخرى مثل عناصر الزمان، والمكان، واكتفى الناقد ببعض الإشارات العامة والعابرة إلى ذلك، ونعتقد أن جورج سالم كان يسعى بالأساس إلى تحقيق تصنيف للأعمال الروائية السابقة في تحر يمكنه من الانتقال إلى إقامة فصل عميق بينها وبين الاتجاه

الواقعي في الكتابة الروائية. هذا التصنيف الذي يضمنه روايات أحد عشر كاتباً من مختلف الأقطار العربية، متجاوزاً لغة الكتابة حيث شملت دراسته أربعة أعمال روائية لمحمد ديب هي الدار الكبيرة، الحريق، النول وصيف أفريقي رغم أنها كتبت باللغة الفرنسية، وهذا الموقف من الناقد يعكس بعده القومي وإيمانه العميق بأن اللغة عند ديب لن تكون عائقاً في دعوته لمواجهة الاستعمار بل هي مجرد أداة للتعبير، فنتاجه عربي القلب والفكر.. وليس فيه من الفرنسية إلا اللسان الذي فرضه الاستعمار.[14]

ويتميز خطاب التحقيق في هذا القسم باستناده إلى مكونات الخطاب الروائي من جهة، وخصوصيات الاتجاه الواقعي، وما يتطلبه من ارتباط للأعمال الإبداعية بالمحيط الاجتماعي والبيئة المكونه له، ومن هذا المنطلق قدم جورج سالم قراءته لخمسة عشر نصاً روائياً. حاول أن يقدم من خلاله أحكاماً نقدية مؤسسة على قياس اختبار الصحة عند الكتاب، ومقاربة أعمالهم من زاوية موضوع الزاوية، وبيئة الكاتب ووظيفة العمل الروائي ودوره في السياق الفعلي الثقافي والاجتماعي، كما تم التركيز على مساءلة الجوانب البنيوية للنصوص الروائية فيما تعلق بالأحداث والشخصيات والزمان والمكان. والقيم والسلوكيات ومدى تطابقها وتفاعلها في تناغم أو تنافر مع البيئة المجتمعة للكاتب كما أن الموضوعات التي شكلت الإطار العام للروايات جعلت الناقد يضعها ضمن الكتابة الواقعية، فهي تتناول قضية الصراع الاجتماعي في الريف (الإقطاع) العادات المتخلفة، قضية الأرض، النضال ضد الاستعمار، والاحتلال، التحولات الجديدة للمجتمعات العربية، واقع المثقف العربي.

ويشكل عنصر المقايسة بعداً أساسياً في خطاب التحقيق عند جورج سالم حيث إن المرجعيات المستندة في تصنيف واقعية الأعمال الروائية المدروسة هي أعمال وآراء كبار الكتاب الواقعين من أمثال بلزاك أو ديكنز أو تولستوي[15] وانطلاقاً من خصوصيات الكتابة لديهم يتم الحكم على الأعمال الروائية. وإلى جانب هذا الشكل من خطاب التحقيق فإن جورج سالم يقدم لنا تنويطا آخر لهذا الخطاب حين يتصدى للحديث عنها يسميه الدروب الجديدة، وهو بحث يتناول سياقين يقوم الأول على مقاربة تبحث في مسارات الكتابة الروائية وتحولها، في حين يقوم الثاني على دراسة المستوى الثيماتي الموضوعاتي للنصوص الروائية، وفي هذا الشأن يقدم سالم قراءة نقدية لمظاهر تحولات الكتابة الروائية لدى كل من جبرا إبراهيم في السفينة، وظهور الرواية الفلسفية عند نجيب محفوظ في اللص والكلاب و الطريق، حيث تغيب مواصفات الرواية الواقعية الوصف والتحليل[16] ورواية تلك الأيام لفتحي غانم التي عدل فيها من تقنية السرد التطوري للأحداث إلى فنية جديدة هي الفصول المؤرخة، وهذه التواريخ ليست مسلسلة زمنياً بل تحمل بينها فجوات وعودات إلى الماضي القريب والبعيد وتتدخل هذه التواريخ لتشكل لحمة الحدث وتفسره وتطور الشخصية الرئيسية فيه، ويؤكد سالم أن هذه الرواية خرج فيها **الكاتب عن الأسلوب** التقليدي ليلجأ إلى أسلوب آخر جديد. فهي "تجربة روائية جديدة في أسلوبها وطريقة بنائها."[17]

أما جانب التحول في الموضوعات فنجده عند الطيب صالح في رواية موسم الهجرة إلى الشمال التي يضعها الناقد ضمن رواية الغربة والاغتراب، أما رواية عودة الطائر إلى البحر فهي بمقاييس

التحقيق تعد "رواية جديدة في مضمونها وفي نتائجها وفي طريقة بنيانها وأسلوبها المتوتر الحاد"[18] وقد أكد جورج سالم بهذا الحكم أن مرجعيته في التقييم تعود إلى الأنماط الفنية التي تحدد أركان الرواية، بالإضافة إلى عدم التركيز على القيمة التصنيفية للعمل الروائي ضمن اتجاهات محددة، فبالرغم من أن رواية عودة الطائر إلى البحر تتحدث عن نكسة حزيران وأحداثها وانعكاساتها في الشارع العربي ولدى مثقفيه إلا أن جورج سالم لم يدرجها ضمن الكتابة الواقعية.

2-1. خطاب التعليم:

إن خطاب التعليم في ميدان النقد الأدبي غايته التقريب والتوعية والإفادة، ويقوم على استراتيجية التلخيص والإيجاز والتركيز والتوضيح، فالقصد فيها هو فهم ما هو موجود وتقديمه بصورة مناسبة، دون اشتراط للتدقيق المصطلحي، فالطابع التعليمي في الخطاب النقدي يشكل مداخل لمعرفة الأدب وفنونه والجمع بين إشكالاته وقضاياه وتاريخه وأجناسه. فهو خطاب مفتوح يعكس رؤية حرة للناقد الذي يقارب النصوص دون تحديدات منهجية صارمة أو جهاز مصطلحي ثابت ودقيق، وهذا لا يعني بالطبع أن الناقد يتخلص كلية من المنهج، بل يمكنه فقط التساهل في الأحكام النقدية وتنويع المداخل لدراسة العمل الفني الأدبي، وقد اعتمد جورج سالم بعض مظاهر خطاب التعليم وفي دراساته النقدية، ضمن عدة مباحث وثيمات عمد فيها إلى مقاربة قضايا فلسفية ووجودية وأخرى أدبية

ونقدية بأسلوب يميل إلى العرض والتلخيص أكثر منه إلى المناقشة وإصدار الأحكام.

ففي مجال الدرس الأدبي المقارن قدم لنا دراسة تصنف في خانة أبحاث الصورتية أو الصورولوجيا Imageologie تناول فيها صورة الجمال في الأدب فقدم صورة لهذا الإنسان البائس من خلال قصيدة لابن الرومي يصف فيها بؤس وتعاسة ومعاناة الجمال الأعمى ولا مبالاة الناس المحيطين به، لكه يبقى رغم ذلك كله متماسكاً بإبائه وعزة نفسه، بعد هذا ينتقل الناقد لتقديم صورة الجمال في الأدب العربي الحديث من خلال قصيدة "الجمال الصغيرة" لتوفيق عواد، و"أبوبطة" لمخائيل نعيمة، و"حامل الأثقال" لمحمود تيمور، ويرى جورج سالم بأن حضور هذا النوع من الموضوعات في الإنتاج الأدبي إنما مدده التحول الذي طرأ على المجتمع العربي، وصعود فئات جديدة من المثقفين أكثر ارتباطاً بالواقع الاجتماعي وحولت الأشخاص المهمشين من شخصيات ثانوية في النصوص الأدبية إلى شخصيات يستند لها دور البطولة. وهو الشيء الذي نجده في الأدب الأوروبي عند الكاتب المسرحي الشهير برتولد بريخت "الذي عالج موضوع الجمال في مسرحيته التعليمية الشهيرة "الاستثناء والقاعدة".[19]

ويتخذ خطاب التعليم مساراً آخر في كتابات سالم النقدية حين يبحث في ما يسمى البحث الثماتي "الموضوعاتي" وذلك من خلال دراسة لموضوع الاغتراب والغربة لدى المتنبي والمعربي والتوحيدي في دراسته المعنونة "ثلاثة أدباء أمام الغربة، أو في دراسة موضوعة الموت عند تولستوي.

كما أن الطابع التعليمي بالأسس النظرية للإبداع الواقعي تمثلها دراساته: عصر الهمذاني

من خلال المقامات، وأدب المقاومة، المقاومة في النتاج الجزائري (نموذج محمد جيب) **وتندرج** دراسته من أدب فرانسوا مورياك، وحول معطف **غوغول**، وتوماس مان ورواية طونيو كروجر ضمن المسار التعليمي الذي يعرف بالآثار الأدبية، والمبدعين وخصائص إبداعهم.

3-1- خطاب التنظير:

إن أهم مميزات خطاب التظير هو كونه خطاباً نظرياً يفكر في النقد بصفته حقيقة معرفية. وهذه المادة النظرية قد تسعى لمناقشة النقد السابق لإنارة الطريق أمام النقد الممكن، والتصور المحتمل حول الأشكال والأقياس الأدبية والمناهج والتيارات.

وما نلاحظه في كتابات سالم هو غياب هذا النزعة التنظرية في النقد الأدبي، باستثناء **دراسة واحدة ضمنا كتاب** المغامرة الروائية بعنوان من القائمة إلى الرواية. ويناقش سالم هذه الدراسة، نشأة الرواية العربية ويشير إلى أن هناك محاولات روائية كثيرة ظهرت قبل رواية زينب لهيكل، وهذه المحاولات لا تخلو من جهد صادق رغم كل الهنات ونقاط الضعف،[20] ويرى سالم أن تلك **المحاولات الروائية** بقيت مجرد نثر قصصي ولم تتطور إلى رواية بسبب اعتمادها أسلوب النثر **العربي الذي تحول منذ أواخر العصر العباسي إلى** قوالب ميتة محنطة فقدت الحياة، ويميز بين شكلين من النثر القصصي الكلاسيكي (كتابات الهمذاني والحريري) والأدب القصصي الشعبي لغته ركيكة لكنه يحمل طاقة خيالية وتعبيرية فتنت الناس قروناً طويلة (ألف ليلة وليلة ـــ سيرة عنترة ـــ الأميرة ذات الهمة).

إن الكتاب العرب الذين **عالجوا الفن القصصي** إنما كانوا يستوحون الأدب الكلاسيكي، وهو سبب إخفاقهم، لأن اللغة التي اعتمدوها لا تلائم ولا تطاوع الفن الروائي، ويقدم الناقد لذلك مثالين هما قصص "مجمع البحرين" لليازجي و"أسواق الذهب" لأحمد شوقي "فهذان الأثران نسخة مطابقة لمقامات الحريري، وكتابات الزمخشري، من حيث ضعف العمل القصصي والافتقار للحديث، وبهوت الشخصية، وتغلب الصنعة اللفظية وطغيانها، وسيطرة الروح التعليمية، والكليشهات اللغوية، والزخارف البلاغية، والزينة اللفظية.[21]

وفي سياق تحديد ملامح الجنس الروائي الممثلة في حديث عيسى بن هشام للمويلحي يرى جورج سالم أن ما قام به المويلحي هو تشكيل أدبي قصصي جديد يمثل مرحلة وسيطة بين المقامة الكلاسيكية والرواية الحديثة، وبذلك فإن "حديث عيسى بن هشام" رواية هجينة حافظت على ملامح المقامة من خلال استنادها إلى راو يسمى باسم **راوي المقامات، كما اعتمدت (الأسلوب المسجوع)** ووظفت الأبيات الشعرية القديمة المقتبسة على غرار صنيع الهمذاني والحريري وابن الحلبي، ويغلب الطابع التعليمي على رواية المويلحي بالإضافة إلى تناصها مع رسالة الغفران للمعري من حيث بنية الأحداث.

ويؤكد جورج سالم في سياق خطابه التنظيري أن عناصر الرواية الحديثة التي اشتملت عليها رواية المويلحي هي وحدة النص الروائي، في حين أن نصوص المقامات هي بنيات حديثة مستقلة، كما أن الرواية اعتمدت على وحدة الشخصية التي تطور في عالم واحد ضمن تصوير واقعي صادق ويقر سالم في النهاية بحكمه الذي يندرج في سياق التنظير

النقدي للأجناس الأدبية، حيث يقول حديث عيسى بن هشام بدا للوهلة الأولى ضربا من المقامات قد تجاوز في صميمه فن المقامة شكلاً ومضموناً، وسعى أن يكتب رواية حديثة فقصر في ذلك من حيث الشكل **والمضمون**،[22] وقد ركز الناقد في إشارته لجوانب التقصير في بناء النص السردي للمويلحي، إلى جانب الشكل حيث رأى أن النص عبر عن مجتمع عصري بأسلوب لا يناسب.

أما من حيث المضمون فإن الرواية ركزت على الخارق في فن أدبي يرفض الخوارق، وهذه المرتكزات النقدية برأينا لا يمكن أن تكون هي العنصر الحاسم في تجنيس الرواية، فالتناقض الشكلي والأسلوبي والمكون العجائبي، ليس منقصة لكتابة الرواية.

وما يمكن تسجيله مما سبق أن تنويعات الخطاب النقدي لدى جورج سالم، تميزت ببروز خطاب التعليم في مرحلة **أولى من خلال كتاب دراسات في** الأدب، تلاه بعد ذلك خطاب التحقيق بصورة أساسية في كتاب المغامرة الروائية، ليبقى خطاب التنظير في مرحلة جنينية.

أما فيما يتعلق بالمنهج المعتمد في الدراسات النقدية لسالم، فإن المصطلحات الموظفة في المقارنة النقدية، تستفيد بصورة اتسمت بالتعميم من خطاب نظرية الرواية ومكوناتها (الزمان، المكان، الشخصيات..الخ) كما أن المرجعية الفلسفية تتركز حول الأطروحات الواقعية بخلفياتها الاجتماعية. ويبقى أن نشير في الختام إلى أن كتابات جورج سالم النقدية مثلت مشروعاً قابلاً للتطوير والتعميق، وتفتح إمكانية **إعادة**

قراءتها وصياغة مكوناتها وفق جهد منهجي ومعرفي متكامل.

الإحالات

[1]- ناقد سوري ولد في حلب عام 1933 تلقى تعليمه في حلب، وتخرج في جامعة دمشق حاملاً الإجازة في اللغة العربية عام 1955 ودبلوم التربية عام 1956 . عمل في التدريس ، وفي إدارة المركز الثقافي ورأس فرع اتحاد الكتاب بحلب. توفي 1976.
مؤلفاته:
- في المنفى- رواية ، بيروت، 1962.
- فقراء الناس- قصص، دار الفن الحديث، دمشق ، د. ت.
- الرحيل- قصص، بيروت 1970.
- حوار الصم- قصص، دمشق 1973.
- حكاية الظمأ القديم- قصص، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1976.
- عزف منفرد على الكمان - قصص.
- على هامش الأدب العربي- دراسة.
- دراسات في الأدب - دراسة.
- المغامرة الروائية- دراسة ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1973.
- تاريخ الرواية الحديثة ، لألبيريس- ترجمة ، دار عويدات، بيروت، ط1، 1964 ، ط2، 1982.
- الطلسم لمحمد ديب- ترجمة، وزارة الثقافة- دمشق 1969.

2- محمد الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر. منشورات كلية الآداب ، الرباط ، المغرب، 1999 ص19

3- نبيل سليمان: المتن المثلث، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 القاهرة 2004 ، ص9.

4- نبيل سليمان: المتن المثلث، ص9.

5 -جورج سالم: المعرفة الدمشقية، العدد 146 ، نيسان 1974 ص185

6- جورج سالم ، المغامرة الروائية: ص8

7 - جورج سالم: دراسات في الأدب، دار الشق ط1 1970 حلب ص8

8- تزفيتان تودوروف: نقد النقد رواية تعلم،ترجمة سامي سويدان، **منشورات مركز الإنماء القومي**، بيروت، ط1 1986
9- نفسه ، جورج سالم: دراسات في الأدب، دار الشق ط1 1970 **حلب**، ص8ص19
10 - جورج سالم: المغامرة الروائية ، ص20-21
11- نفسه ، ص28
12- نفسه ، ص33
13 - المغامرة الروائية ، ص38
14- المغامرة الروائية ، ص113
15- المغامرة الروائية ، ص73
16- المغامرة الروائية ، ص159
17 - **جورج سالم : المغامرة** الروائية ، ص173
18- **جورج سالم :** المغامرة الروائية ، ص183
19- **جورج سالم: دراسات في الأدب**، ص25
20 - جورج سالم: المغامرة الروائية ، ص11
21 - جورج سالم: المغامرة الروائية ، ص12
22 - جورج سالم: المغامرة الروائية ، ص15